مكانة اللغة العربية و رهاناتها

طهراوي حياة
بلقاق لخضر
طالب دكتوراه LMD
جامعة زيان عشور بالجلفة

اللغة العربية هي أحد اللغات التي انتشرت بشكل كبير في العالم ، ينطق بها أكثر من 244 مليون نسمة ، اشتهر بها الوطن العربي بالإضافة إلى بعض البلاد الأخرى مثل تركيا و تشاد و مالي و السنغال ، و وجدت اللغة العربية لها مكانا بين لغات العالم المختلفة و فرضت نفسها على المجتمعات و استمدت اللغة العربية أهميتها و مكانتها العالية عند الكثير من الشعوب اعتبارها لغة القرآن الكريم ، فاستخدمت في أداء الصلاة و تلاوة القرآن و غير ذلك من العبادات التي لا يمكن أن تؤدى إلا بها ، كما أن اللغة العربية هي لغة الشعائر الدينية في الكنائس و الأديرة و عندما جاء الإسلام و انتشر بشكل كبير سبب الفتوحات المتتالية و اتسعت رقعة العالم الإسلامي ارتفعت مكانة اللغة العربية و أصبحت لغة العلم و الأدب و السياسة لقرون طويلة خاصة في الأراضي التي حكمها المسلمون فأثرت اللغة العربية كثيرا على اللغات الأخرى التي كان ينطق بها سكان المناطق التابعة للعالم الإسلامي مثل الفارسية و الكردية و التركية و الألبانية و بعض اللغات الإفريقية مثل السواحيلية و الهاوسا ، فجميع الدول الإفريقية المحاذية للوطن العربي تدرس اللغة العربية بمدارسها بشكل رسمي أو غير رسمي .

و تعد اللغة العربية من بين اللغات الست في منظمة الأمم المتحدة ، و يحتفل باليوم العالمي للغة العربية في 18 ديسمبر و هو اليوم الذي اعتمدت فيه اللغة العربية من بين لغات العمل بالأمم المتحدة .

و تحتوي اللغة العربية على 28 حرف مكتوب و يرى بعض اللغويين أنه يجب إضافة حرف الهمزة إلى باقي الحروف ليصبح عددها 29 حرفا ، كما أن اللغة العربية من أغزر اللغات من حيث المادة اللغوية فمعجم لسان العرب ابن منظور يحتوي على أكثر من 80 ألف مادة .

و سميت اللغة العربية بلغة الضاد لأن هذا الحرف لا يوجد في لغة غير العربية و معظم الأدباء و المفكرين استخدموا اللغة العربية كما أقروا بقدمها ، بل هي من أقدم اللغات حتى من اللغة اللاتينية ، يقول الكتور

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إبراهيم بن مراد: " من أهم ميزات اللغة العربية اليوم قدمها، فهي تكاد تكون أقدم لغة حية مستعملة اليوم؛ لأن نصوصها المكتوبة تعود إلى أكثر من خمسة عشر قرنا خلت، بينما لا يزيد عمر الأنجليزية أو الفرنسية أو الإسبانية على السبعة أو الثمانية قرون ، فإن أنظمة هذه اللغات الصوتية والصرفية والنحوية لم تكون إلا بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.

ثم إن العربية قد بقيت على امتداد تاريخها الطويل محافظة على وحدتها، فلم تتصدع لتنقسم إلى لهجات، على غرار ما حدث للغة اللاتينية، ولم يطرأ على أصواتها وأبنيتها وتراكيبها تبدل يذكر، ولم تنقسم – لذلك – إلى عربية قديمة وعربية حديثة، قد يستعصي القديم منها على فهم المحدثين."

قيمة اللغة العربية – حسب ما سجل النص - تكمن في:

أ – قدمها على كل اللغات المتداولة اليوم في الساحة العلمية والثقافية، بشكل واسع، كما أن الأنظمة الصوتية والصرفية والنحوية لهذه اللغات المستعملة اليوم تأخر تكونها إلى ما بعد استواء اللغة العربية على سوقها، واكتملت لها بنيتها، التي حددت طبيعتها وهويتها، لقد تأخر ذلك بحوالي عشرة قرون كاملة.

ب – تمكنت من المحافظة على وحدة تكونها، وانسجام تراكيبها، رغم العواصف التي تعرضت لها، ومحاولة تقسيمها إلى لهجات ولغات محلية، لسبب أو لآخر، فلم يكن فيها عربية قديمة وأخرى حديثة، كما حدث للغات الأوروبية، بالرغم من تكونها المتأخر عن اللغة العربية.

ج – بقيت أصولها ثابتة، وبنيتها قائمة، تستجيب للتطورات التي حدثت في المعارف التي تتأثر بها اللغة قطعا، فاستجابت وتكيفت معها، من دون ضياع أصولها، وهو ما لم يحصل مع اللغات الأخرى، التي انقرضت، أو حصل لها انحراف أو تشويش أو تشوه في كيانها وطبيعتها.

كل هذه المؤشرات أو المظاهر تكشف عن أصالة اللغة العربية وقوتها التي تبوئها المكانة الرفيعة، وتبقيها حية قادرة على مزيد من العطاء والإبداع بالفعل؛ لأنها تملك ذلك بالقوة، وبذلك تحافظ على عالميتها، مهما تكن الظروف التي تمر بها. - يقول الدكتور حسين نصار: "إن أكبر تحدٍ واجهته العربية كان عندما أخرجها الإسلام من جاهلية غنية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كل الغنى في الإبداع الأ دبي، فقيرة كل الفقر إلى حد الإملاق في الإنتاج العلمي، ثم ألقى بها في بحر وافر من الحضارات والـ علوم والفلسفات والفنون، وكل صنوف المعرفة التي ابتكرتها الأمم المتاخمة للجزيرة العربية، ويسجل المؤرخون كيف انبثقت حركة فكرية منذ أواخر القرن الهجري الأول، و كيف انفردت الشعوب الناطقة بالعربية من الشعوب الناطقة بالسريانية والفارسية واليونانية بالريادة العلمية والحضارية في مجال البحث العلمي والترجمة والتعريب".

يقول غوستاف لوبون: " لقد أصبحت اللغة العربية لغة عالمية في جميع الأقطار التي احتكت مع الشعوب العربية، حيث تراجعت أمامها حق اللغة اللاتينية في شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس). ولقد أدرك أولو العلم في تلك الفترة أن اللغة العربية هي الوسيلة الوحيدة لنقل العلوم والفنون والآداب، بل لقد اضطر رجال الكنيسة إلى تعريب مجموعاتهم القانونية لتسهيل قراءتها في الكنائس الإسبانية" .

هذا النص يسجل للغة العربية عالميتها، التي كانت تتمتع بها في القديم بخاصة؛ بما قامت به من أدوار في البنا ء الحضاري، وتطوير وسائل الإفادة وتفعيل مجالات الحضارة الإنسانية بعامة، وهو ما دفع بغالبية الشعوب التي احتكت بها أن تتعامل بها في مختلف حقول المعارف الإنسانية ، فهذا يقر بدورها الريادي في مسيرة الفكر العالمي، ويبرز مكانتها الحضارية.

هذه المكانة الحضارية العالمية، اكتسبتها اللغة العربية بفضل ما تتمتع به من مميزات وإمكانات لصهر الثقافات التي احتكت بها، بعد أن استوعبتها، وكيفتها بما لا يمس بأصولها. إن هذا يمنحها المرونة في تقبل الثقافات الأخرى، وهذا عنصر آخر يضاف إلى مكانتها العالمية.

تقول الدكتورة مها خير بك ناصر: " بهذه البدهيات العلمية، الحضارية، الإنسانية تم إنتاج الحضارة (العربية – الإسلامية - العالمية) التي صهرت المعارف العلمية، والفلسفية، والثقافية، والحضارية عند أمم كثيرة، في مختبر البيئة الفكرية الحضارية الجديدة، وسجلت النتائج بلغة عربية، أثبتت قدرة متفوقة على احتواء إبداعات العقل اللامحدود، فاغتنت اللغة العربية بمفردات غريبة عن التداول الاجتماعي، ولكنها لم تكن غريبة عن طبيعة تكوينها وخصائصها ومميزاتها."

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تميزت بصفة التأثر والتأثير بلا حدود، مع المحافظة على هويتها وشخصيتها. هذه سمة اللغات القوية الغنية بالعناصر الحية التي تعطي وتأخذ، ما يمنحها فرصة التطور والتجدد. تقول الدكتورة مها خير بك ناصر: " احتضنت اللغة العربية حصاد الفكر العربي، الذي خضع في خلال رحلة الفكر اللامحدود إلى مؤثرات داخلية وخارجية، بدأت بالتفاعل التجاري والحضاري والاجتماعي مع شعوب غير عربية، فأمدتهم التجربة الإنسانية القائمة على الحوار والتبادل والتفاعل، بمفردات لم تكن في أصل المنطوق العربي، ونقلوا أيضا إلى الآخر مفردات دخلت مع حركة الزمان، في أصل لغتهم، فأثبتت اللغة العربية قدرتها على التأثر والتأثير، وأكدت على سلامتها وأصالتها بقبول الكثير من المفردات غير العربية، وحافظت على مقوماتها؛ بالرغم من تعدد اللهجات، التي لم يحفظ منها إلا ما يتوافق وطبيعتها، ولا يتناقض وجوهرها وخصائصها. "

يسجل النص مظهرا آخر من مظاهر القوة، التي تبين عن جدارة اللغة في أخذ سمة العالمية، إنها صفة التأثر والتأثير، أي قبول مفردات من لغات أخرى، وإثراء أخرى بمفردات من بناتها. من دون المساس بأصولها، ومن دون تضييع خصائصها. هذه الظاهرة ناتجة عن مرونة اللغة العربية وغناها وسعتها لتقبل هذا الفعل الحضاري.

هناك جانب آخر مهم يبين طبيعة اللغة العربية، وهو جانب الاشتقاق، أي هي لغة اشتقاقية. وهي الصفة التي تجعلها صالحة لكل زمان ومكان، وقادرة على استيعاب المستجدات، والتفاعل مع أخواتها من اللغات الأخرى، وفي هذا تقول العربية عن نفسها على لسان حافظ إبراهيم:

وسعت كتاب الله لفظا وغايـة وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسمـاء لمخترعـات

هذا الجانب القوي في اللغة العربية يدفع بها أن تكون عالمية، يستفيد منها البشر بمختلف أجناسهم، وبخاصة الباحثون في اللسانيات. إنه أحد مظاهر قوتها وحيويتها وعلميتها. تقول الدكتورة مها خير بك ناصر: " تظهر الدراسات اللغوية المنطقية والموضوعية ديناميكية اللغة العربية التي تكسبها حركية فيزيائية وخصائص كيميائية، ساعدت في حفظ بذور هذا الفكر العالمي، وتحصينه في مختبرات الفكر الإسلامي الإنساني، وذلك من خلال الطاقة الحركية الاشتقاقية واللولبية، التي أسهمت في رعاية عملية تخصيب العلوم والمعارف العالمية، في مختبرات لغوية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عربية، ـخرت المواد المعرفية؛ـوفق ما تفرضه شروط التجربة، وما تتطلبه من وسط لغوي سليم، قادر على استيعاب المكونات وتحفيزها في إعادة إنتاجها وتدوينها إرثا حضاريا إنسانيا كونيا، شارك في صنعه عباقرة عرب وغير عرب."

ما تملكه اللـ غة العربية من مميزات قوية، جعلتها تتبوأ مكان الصدارة بين اللغات الفاعلة المؤثرة ، الدليل على ذلك المكانة التي كانت عليها أو فيها زمن الخصب والنماء والقوة.

قال الشافعي -رحمه الله -

(ما جهل الناس ، ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب ، وميلهم إلى لسان أرسطو طاليس) . وقال أيضا: (لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد ، جهل سعة لسان العرب ، وكثرة وجوهه ، وجماع معانيه وتفوقها . ومن علمها ، انتفت عنه الشبه التي دخلت على جهل لسانها.)

قال المستشرق الفرنسي رينان :

" ن أغرب الم ـدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل تلك الـ لغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها ، وحسب نظام مبانيها ، ولم يعرف لها في كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى ، ولا نعرف شبيها بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة. "

-قالت المستشرقة الألمانية زيفر هونكه :

" كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم ، وسحرها الفريد ؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة...

-قال المستشرق الألماني اوجست فيشر :

وإذا استثنينا الصين فلا يوجد شعب أخر يحق له الفخر بوفرة كتب علوم لغته غير العرب.

-قال بروكلمان :

" بلغت العربية بفضل القرآن من الاتساع ، مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا "

-قال الفرنسي وليم مرسيه:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" العبارة العربية كالعود ، إذا نقرت على أحد أوتاره رنت لديك جميع الأوتار وخفقت ، ثم تحرك اللغة في أعماق النفس من وراء حدود المعنى المباشر موكبا من العواطف والصور ".

-قال الفرنسي لويس ماسينيون :

" اللغة العربية هي التي أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلمي ، والعربية من أنقى اللغات ، فقد تفردت في طرق التعبير العلمي والفني ".

-قال الثعالبي :

" اللغة العربية خير اللغات والألسنة ، والإقبال على تفهمها من الديانة ، ولو لم يكن للإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها وتصاريفها والتبحر في جلائلها وصغائرها إلا قوة اليقين في معرفة الإعجاز القرآني ، وزيادة البصيرة في اثبات النبوة ، الذي هو عمدة الأمر كله ، لكفى بهما فضلا يحسن أثره ويطيب في الدارين ثمره" .

-قال الأستاذ مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله - في كتاب " وحي القلم ":

ما نالت لغة شعب إلا ذل ، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار ، ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمرة ، ويركبهم بها ويشعرهم عظمته فيها ، ويستعبدهم من ناحيتها فيحكم عليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد : أما الأول : فحبس لغتهم في لغته سجنا مؤبدا .

وأما الثاني : فالحكم على ماضيهم بالقتل محوا ونسيانا . وأما الثالث : فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها ، فأمرهم من بعدها لأمره تبع . " إن اللغة مظهر من مظاهر التاريخ . والتاريخ صفة الأمة ، كيفما تقلب أمر الله ، من حيث اتصالها بتاريخ الأمة واتصال الأمة بها وجدتها الصفة الثابتة التي لا تزول إلا بزوال الجنسية وانسلاخ الأمة من تاريخها.

و يذهب الدكتور عبد الجليل مرتاض بعيدا حين يقرر أن العولمة الحالية استمدت جذورها ونبتت بذورها في حقل اللغة العربية: "...ولكن ما وقفنا عليه يدفعنا إلى أن نميل إلى القول، وبكل اطمئنان: إن اللغة العربية كسبت رهان العولمة القديمة، التي تأسست على تراثها وأصالتها وجذورها، هذه العولمة الجديدة. ولئن كانت العولمة الجديدة موجهة ومسيسة ووجبات مطبوخة على قد الذوق والمقاس الذين، ترغب فيهما الدول المسماة كبرى، فإن العولمة التي قادتها اللغة العربية قرونا من الزمن، من أقصى آسيا شرقا إلى غرب أوروبا جنوبا، لم تكن قاهرة، ولا مجبرة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إقليميا وشعبا؛ لاتخاذها لغة، أو تبخطها رسما" ، يضيف هذا النص عناصر أخرى مهمة، تبين عن قيمة اللغة العربية وفضلها على الفكر العالمي أو دورها – على الأقل – في الفكر الإنساني:

أ – إن العولمة الجديدة التي تتبجح بريادتها للعالم، وبتوجيهها لمسار الفكر العالمي، سبقت في هذا المسار بعولمة قديمة، هي عولمة اللغة العربية.

ب – إن العولمة الجديدة تأسست على أعقاب العولمة القديمة، التي كانت اللغة العربية هي البانية لها، وبذلك كسبت هذا الرهان.

ج – إن العولمة الجديد ة انبنت على الهيمنة والسيطرة والقهر، ولذلك تظهر فيها آثار التسييس المفرط، والتوجيه المغرض، والتغرير الماكر... بينما العولمة القديمة كانت بعيدة كل البعد عن هذه السياسة وهذا التوجه، بل اجتهدت في خدمة الفكر بما تملك من مقومات قوية صالحة للتطوير القو ي، والتنمية الشامل

تقول الدكتورة مها خير بك ناصر: " لم تخسر اللغة العربية في زمن نهضة العرب قيمتها الحوارية، أو طاقاتها الاختزال ية المعرفية، بل أثبتت عبر تاريخها قدرتها على نقل ما ينتجه الفكر الإنساني، وتكريس المنتج قيما معرفية، تختزل عمليات التل ـقي والتأثير، وانعكاساتهما في مظاهر الحياة السياسية والدينية والاقتصادية والتاريخية والفكرية والفلسفية والعلمية، فتميزت اللغة العربية بالخصوبة والحيوية والنمو والتطور المؤسس على الأصول... " .

أصالة مقومات اللغة العربية، وآثارها الإيجابية التي ظهرت في مختلف مراحل مسيرة الفكر الإنساني العالمي، منحت هذه اللغة الفرصة أن تعيد مكانتها بين اللغات المؤثرة في الحياة العلمة الحالية، رغم ما تعانيه من مشاكل ومعوقات ومثبطات في مسيرتها- داخليا وخارجيا -في المشاركة الحضارية الفاعلة في الحياة اليومية. يقول الدكتور عادل نوفل: " لقد أثبتت اللغة العربية عالميتها، بعد أن اعتمدت في منظمة الأمم المتحدة كلغة من لغات هذه المنظمة، وأثبتـ ت اللغة العربية علميتها، بعد أن استخدمت بنجاح باهر في التعليم العالي، في كافة العلوم الأساسية والطبية والهندسية... في الجامعات السورية، وفي بعض الجامعات العربية، وأثبتت حيويتها بقدرتها الفائقة على استيعا ب كل جديد في مختلف المجالات العلمية والأدبية، بعد أن هل إليها ألوف الكتب والمؤلفات في العلوم والآداب والفنون على مر العصور."

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذا كانت اللغ ة العربية قد برهنت على عالميتها، وعلى علميتها، وعلى حيويتها، وهي العناصر المكونة لقوة الشيء، فهي جديرة بأن يلتجئ إليها من يريد أن يستفيد من الحياة ما يعينه على بناء ذاته وشخصيته وكيانه، والتأسيس لمستقبل حياته. ويتعدى جدواها إلى إفادة م ا حولها وبجنبها من الثقافات، وهو ما يضفي عليها صفة العالمية بالقوة والفعل.

وبين الحسن في محاضرته ضمن أيام الأسبوع الثقافي بالحسكة أن اللغة العربية الفصحى تتعدى كونها الحامل الرئيسي للحضارة والتاريخ العربي إلى كونها رموزا صوتية يتم من خلالها التعارف والتواصل بين أفراد المجتمع لذا ي عتبر الاعتزاز باللغة العربية مطلبا حضاريا وقوميا في الوقت نفسه حيث تم حفظ هذه اللغة بالقرآن الكريم الذي يعتبر دلالة مهمة على صحتها وفصاحتها.

وبين الباحث أن إعجاز اللغة العربية يكمن في احتوائها على صور بيانية لا يمكن للغة في العالم أن تحتويها من حيث المفردات والألفاظ والوقع الموسيقي إضافة إلى شكل الحرف في الخط العربي الذي يعتبر من أجمل الخطوط وأكثرها مرونة، مشيرا الى تمتع اللغة بالتناسب والتوافق مع الألفاظ والأوزان والدلالات ما مكن الأدباء والشعراء من استثمار هذه الميزة فكتبوا في ذلك قصائد وخواطر غاية في الإبداع.

وأكد الحسن أن فضل اللغة العربية على سائر اللغات يتمثل في كونها أقرب اللغات إلى المنطق لسلاسة عباراتها وطبيعة لفظها واتصافها بالإيجاز والبلاغة والوضوح وهذه الصفات تفتقر إليها اللغات الأخرى، مشيرا إلى ضرورة تنمية ذائقة الأطفال باللغة الفصحى عبر المربين والبيئة المحيطة بهم على أن يكون المربي ملتزما باللغة العربية في التعاطي مع التلاميذ لأنها تعتبر صلة الوصل بين الماضي والحاضر والمستقبل.

وفي هذا السياق رأى الموجه التربوي ممدوح عماش ان إيلاء اللغة العربية مكانتها الصحيحة أمر مهم للغاية لكي تكون في مقدمة أولوياتنا وذلك من خلال الإكثار من الندوات والمحاضرات والأمسيات الشعرية والمهرجانات الثقافية لافتا إلى أن الاعتزاز باللغة يعتبر مطلبا ملحا للجميع لما لها من أثر في حفظ الهوية والتاريخ وتعزيز الانتماء.

قدم أحمد بن محمد الـ ضبيب بشرى للمنتسبين ـلغة العربية والمتعاطفين معها، ولمن يريد الإفادة من مقوماتها، فحواها: " إن دراسة أجريت في اليابان على اللغات العالمية، تستهدف معرفة أكثرها وضوحا، من الناحية الصوتية في استخدامات الحاسب الآلي، أثبتت أن العربية تتصدر هذه اللغات من هذه الناحية."

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ميزة اللغة ا لعربية أنها شاملة بمكوناتها صالحة للولوج في مختلف الميادين العلمية والفكرية والأدبية والتربوية والاجتماع ية والاقتصادية والفنية، وكل المجالات التي يحتاج إليها البشر، وتلتصق بحياتهم، ويتوقف عليها تحركهم ونشاطهم. يقول الدكتور محمد مصطفى بن الحاج: " ولم تكسب العربية عالميتها هذه بسعة الانتشار وكسب الصراع ا للغوي فقط، بل كان لها طابعها العالمي لكونها لغة العلم والبحث والمراسلات الدولية والعلاقات السياسية والاقتصادية، كما كانت لغة الآداب والفنون في مختلف الثقافات التي اعتنق أهلوها الإسلام. ولقد شهد الكتاب الأجا نب المنصفون فيما كتبوه عن تاريخ العلم في العالم، وعن أصول النهضة الأوربية، وعن فضل الحضارة العربية، فأبانوا واعترفوا بعالمية الثقافة العربية ولغتها في تلك العصور."

من المكاسب التي ظفرت بها اللغة العربية، والتي تكشف عن عالميتها، حصولها على مقاعد لتكون حاضرة في المحافل الدولية، لتنقل بها اهتمامات العالم العلمية والثقافية والتربوية والسياسية وغيرها، إلى جنب اللغات الأخرى المتداولة. فقد اعتمدت في المؤسسات الثقافية والعلمية والسياسي ة الدولية كمنظمة الأمم المتحدة واليونسكو، ومنظمة الأغذية والزراعة، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة العمل الدولية...

يقول الدكتور عبد الكريم بكري إن من العوامل الدافعة لغير العرب إلى تعلم اللغة العربية: " اهتمام الجامعات الأجنبية بالحضارة ال عربية والثقافية الإسلامية، مما يمكن اعتباره استمرارا للحركات الاستشراقية التي عرفها الغرب في القرون الأخيرة، والتي كانت تحرص على معرفة الثقافة الإسلامية في لغتها الأصلية."

مما يستدل به أيضا شاهدا على عالمية اللغة العربية حضورها المكثف في أمريكا، في جامعاتها ومؤسساتها، لدوافع كثيرة مختلفة. ومهما يكن تفسير هذا الوجود في هذا القطر الذي يريد أن يستحوذ على العالم، ويسيطر على مقدراته ، ويفرض نفسه وثقافته على الجميع، فإن حضور اللغة العربية في مجالها الحيوي، وفي حياة شعبها يبرز ما لهذه اللغة من أهمية. استثمار ذلك استثمارا إيجابيا ممنهجا ومخططا، وبإرادة حكومية وشعبية، يضيف مؤشرا آخر وعاملاآخر إلى تأكيد عالمية العربية من جديد، ويوفر لها الفرصة كي تتبوأ مكانتها في الفكر العالمي راهنا ومستقبلا. يقول الدكتور وليد العناني في سياق عرضه لم ظاهر حضور اللغة العربية في الجامعات الأميركية، بعد أن سجل ظاهرة إرسال الطلبة الأمركيين إلى الجامعات العربية: " ويقترن بهذا المظهر مظهر أكاديمي آخر، يتمثل في إقامة علاقات التبادل الثقافي وبرامج تعليم العربية في ما وراء البحار؛ فقد عقدت كثير من الجا معات الأمريكية برامج الدورات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللغوية في الـ بيئة العربية، حيث يمضي فيها طلبة البرنامج مدة معينة في إحدى الدول العربية، وغالبا ما تكون في الصيف. وظاهر أن الغرض الرئيسي من هذه الدورات اكتساب كفاية تواصلية مناسبة بالعربية، واكتساب قدر مناسب من الـ ـ ثقافة العربية والإسلامية، إضافة إلى تحصيل قدر من العامية..." .

إذا كانت اللغة العربية قد كسبت الصراع اللغوي، وحازت على الرهان، بدليل سبقها إلى خوض مجالات البحث المختلفة، ونيل الريادة في المراسلات الدولية، والفوز بالتقدم في العلاقات المختلفة لمظاهر الحضارة في العالم... ألا يكون ذلك محفزا على استرجاع هذه القوة الكامنة؛ بإقحام أبنائها لها من جديد في هذه الحقول، والخوض بها في مسيرة ا لفكر العالمي، حتى تبقى على عالميتها، التي هي في كمون وهمود، وسكون وخمود، إلى أن يعمل أبناؤها على بعث قوتها من جديد. التي قال عنها الدكتور إبراهيم بن مراد: "... وقد ظلت اللغة العلمية والثقافية الأولى حوالي خمسة قرون أو تزيد، تحمل معها خلاصة الفكر الإنساني القديم في الثقافة والعلم، وإسهام العرب في إثراء الحضارة الإنسانية في شتى حقول المعرفة."

هذه بعض الـ شهادات التي تكشف عن قوة اللغة العربية، وهذه بعض الخصائص التي تبرز حقيقة اللغة العربية، وهي كلها تقر وتظهر جدارتها في التموقع مقعد اللغة العالمية، وتعترف بسعتها الكبيرة في حمل الفكر العالمي، وقدرتها على تطوير هذا الفكر، والسير به أشواطا بعيدة في خدمة الإنسانية خدمة شاملة، مما يثبت حضور هذه اللغة بقوة في مسيرة الفكر الإنساني في كل مراحله. ولكن هل هذا الحضور موجود اليوم؟

يقول الدكتور إبراهيم بن مراد: " كانت اللغة العربية في القديم لغة عالمية، قد تصدرت اللغات المعروفة طيلة قرون كاملة، فـ كانت اللغة العالمية الواسعة الانتشار بحق، قد حملت معها حضارة وفكرا أصيلين، وأثرت في اللغات القريبة منها والبعيدة عنها. وهي اليوم قاصرة تجهد نفسها، ويجاهد أهلها لتلتحق باللغات العالمية الكبرى، وتستعيد إشعاعها الماضي ومنزلتها القديمة ودورها الحضاري.

بل إ ن كثيرا من الدارسين وعامة الناس يشككون في قوتها، وفي قدرتها على مسايرة العصر في سرعة تطوره، وكـ ثرة مخترعاته، وحجم مستجداته، فأصبحوا يلقون أسئلة عديدة عن إمكانية قيام اللغة العربية بدور اللغة الحاملة للفكر والحضارة، والقادرة على التواصل والتبليغ، وبكلمة واحدة صريحة التشكيك في عالميتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يردد هذا أبناؤها والأجانب عنها، عن حسن نية، وعن سوء قصد، وبغرض النيل منها، وإبعادها عن الساحة، أو على الأقل حرمانها من أن تحوز على شرف العالمية، الذي هو من حقها في الماضي، وهو نصيبها في الحاضر. ينقل الكتور محمد سويسي بعض هذه الأسئلة في الفقرة الآتية: " هل العربية صالحة لأداء المفاهيم العلمية والفلسفية المعاصرة؟ بل هل العربية ما فتئت لغة حية، يمكنها التعبير عن كل مدلول نظري أو تطبيقي من المدلولات الحديثة؟ وذلك لأن العربية تعترضها اليوم مشاكل لغوية عويصة، فوقفت في مفترق الطرق، بين ماض اذ قضى وطويت صفحاته، أت معانيه أحسن تأدية، وحاضر متجدد، تطورت أحداثه وتنوعت معالم انبعاثه العلمي والاجتماعي والتكنولوجي... وقوي تيار تجدده بسرعة، فاقت ما للغة من سرعة التطور، فتخلفت عن الركب، ووقفت لا تفقه المتجه، ولا تعلم أي سبيل تسلك كي يكون لها ما يؤهلها للقيام برسالتها.

هذه الأسئلة تحمل أسوأ الاتهامات، وأمكر المؤامرات ضد اللغة العربية، الغرض منها القضاء عليها، وطمس معالمها، أو الحط من قيمتها وصرف النظر عنها، هذه الاتهامات قد تكون صادرة عن جهل وسذاجة، وقد تكون نابعة من إرهاب فكري، وقهر ايديولوجي، وعقدة الاستعلاء والتفوق والسيطرة والهيمنة...

كيف يجب رد هذه الاتهامات، لتحظى اللغة بمكانها في سيرورة الفكر العالمي؟ وترجع لها مكانتها؟ وماذا يجب أن يقام به ليفسح لها المجال كي تؤكد على هذا المكسب؟ وتسترجع هذا الحق؟ هل يمكن لها أن تحقق هذا المطلب أو هذه الغاية؟ وهل يمكن لها أن تجد مكانا في الفكر العالمي؟ وهل يكون لها تأثير على مسيرة الحضارة العالمية والإنسانية الراهنة؟ الإجابة عن هذه الأسئلة، والرد عن هذه الاهتمامات يحتاج إلى مزيد البحث والدراسة، ويطلب جرأة و شجاعة في عرض راهن اللغة العربية في أوطانها وخارج ديارها، والوقوف على حقيقة العلاقة بينها وأبنائها، ونظرة غيرهم إليها، ومدى إرادة أهل الدار في النهوض بها، ومدى استعداد غيرهم لتقبلها، وإتاحة الفرصة لها، وفسح المجال لها كي تستعيد مكانتها، وتسهم في البناء الحضاري، وإثراء الفكر الإنساني، وتطوير مسيرة الفكر العالمي... البداية تكون بإزالة المشاكل والعوائق والمثبطات التي تحول بينها والقيام بدورها الحقيقي. فما هي هذه المشاكل والمعيقات؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهوامش :

[1] - الدكتور إبراهيم بن مراد، " مكانة اللغة العربية بين لغات العالم الواسعة الانتشار" ، كتاب من قضايا اللغة العربية المعاصرة، إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1990م، ص: 215.

[2] - عن عالمية اللغة العربية في القديم، وازدياد هذه العالمية وقوتها... ينظر المرجع السابق، ص: 216 وما بعدها. وعن مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية ينظر الدكتور أحمد بن نعمان، كتابه مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء وإرادة السماء، ط1 ، شركة دار الأمة، 2008م، ص: 289، 290. ومقال الدكتور عبد الجليل مرتاض، " العربية ورهانها العولمي لسانيا "، كتاب العربية الراهن والمأمول، (المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر)، 1430هـ/ 2009 م، ص: 705 – 743.

[3] - الدكتور بكري عبد الكريم، " عالمية اللغة العربية: الرؤية والأداة" ، كتاب العربية الراهن والمأمول، ص: 285.

[4] - الدكتورة مها خير بك ناصر، " إشكالية اللغة العربية والعولمة في ضوء البنية اللغوية وكيميائية التحول"، مجلة اللغة العربية (المجلس الأعلى للغة العربية)، الجزائر، ع: 16، خريف 2006، ص: 282.

[5] - المرجع السابق، ص: 286، 287.

[6] - المرجع السابق، ص: 288.

[7] - الدكتور عبد الجليل مرتاض، " العربية ورهانها العولمي لسانيا " ، كتاب العربية الراهن والمأمول، ص: 729.

[8] - مجلة اللغة العربية، ع: 16، ص: 285، 286.

[9] - الدكتور أحمد بوطرفاية، " اللغة العربية وسهام العولمة"، المرجع السابق، ص: 777.

[10] - الدكتور محمد مصطفى بن الحاج، " عالمية اللغة العربية " ، كتاب من قضايا اللغة العربية المعاصرة، ص: 258.

[11] - كتاب العربية الراهن والمأمول، ص: 290.

[12] - الدكتور وليد العناني، " اللغة العربية في أمريكا من الثقافي إلى الأمني "، المصدر السابق، ص: 296.

[13] - من قضايا اللغة العربية المعاصرة، ص: 225.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com